



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

أوكرانيا وروسيا والعرب

ميريسا كورما



ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

أوكرانيا وروسيا والعرب

ميريسا كورما *

كثيرٌ من المحلّلين العرب غير مقتنعين بـ«الهستيريا» الغربية بشأن الأزمة الأوكرانية. ، سيكون للنزاع الروسي-الأوكراني -بطريقة أو بأخرى- تأثيرات في جميع أنحاء المنطقة.

مع استمرار سيطرة الأزمة الروسية-الأوكرانية على عناوين الأخبار على مستوى العالم، تراقب أركان مختلفة من العالم عن كثب، في انتظار معرفة ما إذا كانت روسيا ستغزو أم ستوقف التصعيد. كان العالم العربي أحد هذه الأركان، التي حظيت باهتمام أقل. على غرار المناطق الأخرى، سوف يتأثر بأكثر من طريقة. أولاً، ما تزال المنطقة العربية مسرحاً لمنافسة القوى العظمى، وتحديدًا بين روسيا والولايات المتحدة. ثانياً، هي موطن لبعض أكبر منتجي النفط والغاز في العالم، والذين يتأثر مستقبل إنتاجهم من الطاقة بالتوترات المتزايدة ونتائج الأزمة. فضلاً عن تأثير الارتفاع الكبير لأسعار النفط في الأيام الأخيرة على الأسواق المالية في دول الخليج العربي، إذ تحركت الأسهم في اتجاهات مختلفة كردّ فعل على «التوترات الجيوسياسية في أوروبا الشرقية». أمّا البلدان المستوردة للطاقة مثل الأردن ولبنان، فإنّها تربط أسعار الوقود المرتفعة ارتباطاً وثيقاً بالقلق السياسي في الداخل. ثالثاً، من المحتمل أن تعاني عديد من الدول العربية من نقص الغذاء إذا اندلعت الحرب، لأنّ كلاً من روسيا وأوكرانيا من بين أهم مصادر واردات الحبوب.

التصورات ومنافسة القوى العظمى

سيعزز أيّ تشجيع لروسيا من داخل أوروبا من وجودها في سوريا، إذ دعمت الرئيس «بشار الأسد» وأبقته في السلطة طوال العقد الماضي. يحدث هذا على خلفية ما يراه عديد من المحلّلين العرب على أنّه انسحاب أمريكي من المنطقة. وبسهولة، فإنّ هنالك المزيد من الأسباب والفرص للانحياز بقوة أكبر نحو روسيا في نظر عديد من الحكومات العربية. أشار الكاتب المصري «طارق عصمان» إلى أنّ روسيا «تحاول ملء بعض الفراغ» الذي خلّفه تراجع الوجود الأمريكي «في شرق البحر المتوسط والأجزاء الأكثر اضطراباً في شمال إفريقيا»، وكذلك «في بعض الدوائر ذات الصلة لأمن الخليج»، بما في ذلك توثيق التعاون بين روسيا والسعودية والإمارات العربية المتحدة. وأضاف «عصمان» أنّ الدول العربية «تدرس الوضع في أوكرانيا لتقييم ما إذا كانت أمريكا ستظهر قواها

* مدير برنامج الشرق الأوسط في مركز ويلسون.

بالفعل - والأهم من ذلك، الإبداع - من أجل حرمان روسيا من الوصول لأهدافها»، وإلّا «ستحصل روسيا على ما تريد».

في الوقت الحالي، لو ألقينا نظرة سريعة على العناوين الرئيسية والتحليلات في وسائل الإعلام العربية، في كثيرٍ من الحالات، سنرى كيف «يقراً» العرب التوترات الجيوسياسية في أوروبا وكيفية تعامل إدارة «بايدن» مع الأزمة في أوكرانيا. تؤطّر بعض العناوين ومقالات والآراء الأزمة من منظور «التصعيد الأمريكي» تجاه روسيا، وهذا تناقض صارخ مع نظرة التقارير ووسائل الإعلام الأمريكية والغربية للأزمة. اقتبس أحد المحلّلين كيف أنّ الأزمة الأوكرانية الروسية تقدّم درساً مهماً حول قوة وتأثير ما يسميه «آلة الإعلام الأمريكية والغربية»، و «الهستيريا» التي خلقتها حول الغزو الروسي. الأمر الذي دفع حتى وزير الخارجية الأوكراني للحث على التهدئة.

على حدّ تعبير كاتب عربي آخر في صحيفة أخبار الخليج اليومية التي تصدر في البحرين، فإنّ أمريكا وحلفاءها في (الناتو) «يخوضون صراعاً مفتوحاً مع روسيا حول أوكرانيا ويصعدون الوضع إلى حافة الحرب بذريعة أنّ روسيا تهدّد استقلال أوكرانيا». أخبرني محلّلة مقيمة في عمان ولها معرفة عميقة بروسيا في المنطقة أنّ معظم تغطية الأزمة الأوكرانية في وسائل الإعلام العربية يُعاد تدويرها من الأخبار أو التقارير الصادرة عن الصحف الدولية الكبرى. وقالت: «نادراً ما نرى نصوصاً مهمة عن النيات العسكرية الروسية في أوكرانيا». العامل الآخر الذي يعزّز صورة روسيا في المواجهة مع الغرب هو أنّ معظم العرب ينظرون إلى روسيا من منظور التحالفات القديمة التي أقامها السوفييت في جميع أنحاء المنطقة. وأشارت إلى أنّه «يرى كثيرون في هذا الصراع صراعاً داخلياً بين روسيا وأوكرانيا».

ما يزال هذا التحليل حول التصورات العربية قائماً حينما ننظر إلى أحدث نتائج استطلاع لرأي الشباب العربي، وتحديدًا فيما يتعلّق بكيفية رؤية الشباب العرب لحلفاء بلدانهم وأعدائهم. يرى (70%) من الشباب في (50) مدينة عربية شملها الاستطلاع أنّ روسيا حليفة، ويرى (26%) أنّها عدو. في المقابل، يرى (57%) أنّ الولايات المتحدة حليفة، في حين يرى (41%) أنّها عدو. من المهم أن نلاحظ هنا، أنّ الشباب العربيّ (الفئة العمرية) يمثّلون أكثر من (60%) من سكّان المنطقة.

يرحبّ بعض المحلّلين - نظراً لهذه الآراء - برحابة صدر الحركات الجيوسياسية التي تتعد عن عالم أحادي القطب تكون فيه الولايات المتحدة هي المهيمن. إذ إنّهم يأملون أن تمثّل هذه التطورات عودة محتملة إلى عالم ثنائي القطب أو تحوّل نحو عالم متعدد الأقطاب تنضمّ فيه الصين إلى روسيا

في التنافس على السلطة مع الولايات المتحدة. ستوفّر منافسة القوى العظمى فرصةً لدول المنطقة لتحسين نفسها وإيجاد تحالفات أمتن.

روابط الطاقة وموازنة العلاقات

يسلّط الاقتراب من الدول العربية في الخليج، والتي بعضها من أكبر منتجي الطاقة في العالم الضوء على «كيف ولماذا تؤثر الأزمة الأوكرانية-الروسية بعمق على الصحة الاقتصادية في المنطقة العربية؟! على غرار الدول الأخرى غير الخليجية في العالم العربي مثل مصر. ووفقاً لـ«عبدالله باعبود» -محلّل سياسي وأكاديمي عماني- محاولة دول مجلس التعاون الخليجي الحفاظ على «علاقات متوازنة مع القوى العالمية الكبرى». وأشار «عبدالله باعبود» إلى أن أزمة أوكرانيا «تضعهم في موقف حرج إذا اضطروا إلى اختيار جانب»، لا سيّما إذا أدّى الوضع إلى حرب، إذ تلوح في الأفق عقوبات ضد روسيا تؤثر على «تعاونهم الاقتصادي والعسكري المتنامي مع موسكو». قد يكون بعضهم قد اختار فعلاً جانباً منهما. ووفق ما ورد، قرّرت المملكة العربية السعودية التمسك باتفاقية بين أوبك وروسيا (أو أوبك+) بدلاً من «ضخ المزيد من النفط الخام لترويض السوق» ممّا سيساعد الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين. هذا ما قرّرتته المملكة للوقت الحالي على الأقل.

وأوضح «باعبود» أنّ دول مجلس التعاون الخليجي عندها «علاقة عمل جيدة مع روسيا فيما يتعلّق بالنفط والغاز، عن طريق أوبك+، ومنتدى الدول المصدّرة للغاز». مضيفاً أنّ الضغط الأمريكي على هذه الدول «سيؤثر سلباً على تعاونها مع موسكو، وقد يكون لتحويل الغاز الطبيعي المسال إلى أوروبا تأثير على اتفاقياتها الطويلة الأجل مع الدول الآسيوية». تدور هذه الهواجس التي شعرت بها دول مجلس التعاون الخليجي حول تصوّراتها حول منافسة القوى العظمى في جميع أنحاء العالم ومنطقتها. وقال «باعبود» إنهم «يرون روسيا بوصفها قوةً يريدون إقامة علاقات جيدة معها، خصوصاً [في ضوء] أنّ هنالك تصوراً بتخليّ الولايات المتحدة عن المنطقة».

التغلّب على أزمة القمح

تعدّ كلٌّ من أوكرانيا وروسيا من بين أكبر مصدّري القمح في العالم (يمثّلان حوالي 29% من الإمداد العالمي)، والذي يعتمد عليه عديد من البلدان في المنطقة. تواجه مصر ولبنان واليمن والدول العربية في شمال إفريقيا (خصوصاً ليبيا والمغرب) أزمة «خبز» وشيكة مع استمرار ارتفاع أسعار القمح مع تصاعد التوترات على الحدود الأوكرانية الروسية. أمّا لبنان واليمن فمعرّضان للخطر بصورة خاصة، إذ يتصارعان مع تحديات الأمن الغذائي الخاصة بهما، وهذا الأخير في عمق الصراع

الذي أودى بحياة حوالي (377000 يمخي). ومن المثير للقلق أنّ (60%) منهم ماتوا بسبب الجوع أو لأسباب أخرى متعلّقة بالصحة.

زيادةً على ذلك، فإنّ مصر، بوصفها الدولة العربية الأكثر اكتظاظاً بالسكّان والتي تضمُّ أكثر من (100) مليون نسمة، معرضة بصورة خاصة لارتفاع أسعار القمح، الذي تستورده بصورة أساسية من روسيا وأوكرانيا. ومع تقليل المسؤولين المصريين من أهمية التأثير السلبي للأزمة الأوكرانية الروسية على واردات القمح إلى مصر، إلّا أنّ التاريخ يُعدُّ تذكيراً وحشياً بالكيفية التي تسبّب بها ارتفاع أسعار الخبز في أعمال شغب مؤخراً في 2017 وسابقاً في 1977. يسمّي المصريون الخبز «عيش» بمعنى «الحياة»؛ لأنّ عديداً من الأرواح معتمدة عليه. لذا، حينما يحتفي الخبز، تكون هذه الأرواح على المحك، وتندلع الاحتجاجات نتيجة لذلك.

الانتظار والمراقبة

في وقت كتابة هذا التقرير ونظراً للتحليل أعلاه على هذه الجبهات الثلاث؛ والمنافسة بين القوى العظمى، والطاقة والاقتصاد، والأمن الغذائي (أو انعدامه)، فإنّ الموقف القياسي للحكومات العربية هو «الانتظار والمراقبة» أو «التربُّب». لقد اتخذت حكومات عربية قليلة مواقف عامة واضحة أو عرضت لعب دور في نزع فتيل التوترات بين روسيا والغرب. وكما أشار عديد من المحلّلين العرب إلى إمكانيّة فهم مثل هذا الموقف، وربّما يُرحّب به كإجراء مؤقت. لكن هنالك خطر يكمن في تحوّل موقف «الانتظار والمراقبة» إلى ردّ فعل دائمٍ لهذا الوضع، الأمر الذي قد يضغط على الحكومات العربية لاختيار جانب يقف معه، إمّا أمريكا وحلفاؤها الغربيون وإمّا روسيا. خصوصاً إذا فشلت الدبلوماسية واندلعت الحرب. فإذا كان نشاط على وسائل التواصل الاجتماعي مؤثّراً - كما حدّر محلّلون آخرون - فإنّ الشارع العربي قد أوضح فعلاً ميله تجاه روسيا. ربّما يكون ذلك مجرّد مقاطعةً لأمريكا في المنطقة والعالم الغربي، إذ تقف روسيا بحزم في تحديّ وضعها بوصفها قوةً عظمى في أوروبا.

المصدر:

<https://www.wilsoncenter.org/article/ukraine-russia-and-arabs>